قبسات من نور النبوة
في الدعوة والتعليم

للشيخ صالح رضا
المدرس في الجامعة

أمرنا الله ــ جل وعلا ــ ان ندعو الناس الى سبيله القويم ، وطريقه المستقيم بالحكمة ، والحكمة تعنى ان يحاول الانسان ــ ما استطاع ــ ليضع الشيء في محله الملائم له ، وهذه الحكمة تقتضى الداعى او المعلم ان يعلم ــ قبل الدعوة ــ كيف يخاطب النفوس ، وماهى الوسائل التى تؤثر في النفس الانسانية فتجعلها تقبل ما يلقى اليها باهتمام وشغف ، وبذلك يكون عمله مجديا ودعوته مؤثرة ، وتعليمه مثمــرا .

والناظر في السنة النبوية يلمح صورا واضحة للطرق القويمة في مخاطبــة النفوس ، وتبين له السبل التى سلكها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للتأثير في نفوس المخاطبين من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ مما يدل علــى المعرفة التامة وتربيتها . وانى احب ان اعرض شيئا من هذه الامثلة الرائعــة لتكون لنا نورا نستضيء به في الطريق الطويل الذى نسير به .

من ذلك ما يعرف الآن في طــــرق التعليم باثارة مشكلة لايجاد حــل لها ، ويكون ذلك بالقاء سؤال يطلب من المخاطبين الجواب عليه ، والقاء السؤال يجعل المسؤولين في المشكلة ذاتها ، فيبحثون عن حل مناســب ، وجواب ملائم لما يعرض عليهم ، فهم اذن ليسوا بعيدين يتكلمون عن شيء نظرى ، فها هى المشكلة امامهــم ، والسؤال يحتاج الى جواب،والجواب سيكون من واقع حياتهم ، ومــــن تجاربهم التى يعرفونها،ثم سيصيخون السمع الى كل من يجيب،ثم سينتظرون الحكم النهائى والجواب القاطع من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبهذه الطريقة يضمن الداعية شيئين :

Made With Pdf Office

١ ــ وضع السامعين فى المشكلة ذاتهـا .

٢ ــ لفت انتباههم، واثارة اذهانهم لمعرفة الوجه الحق .

وهذا مما يجعل الجواب المتلقى يتلهف عليه ، ويدخل الى النفـــس مباشرة ، فيمكث فيها دافعا الى العمل الجاد ، ومن هذه الصورة الرائعـة فى السيرة النبوية الحديث الوارد فى السؤال عن « المفلس » ويبدو هذا السؤال سهلا ليس فى الجواب عليه شدة وعناء ، ولذا سيكون جوابهم بما يعرفون ويعاينون فى واقع حيـاتهم « المفلس فينا من لادرهم عنـده ولا متاع » هذه هى الصورة الشائعـة المعروفة عندهم ، قالوها بكل هدوء وتؤدة ، ولكن ياترى : أليس هنـاك صورة اخرى للمفلس ؟ لاشك ان هناك نفوسا قد خالجها الشك فى هذا الجواب اذ لو كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد هذا الجواب لما سأل لانه يعرفه قطعا ، ولذا كانت هـذه النفوس متعطشة لمعرفة هذا المفلس، او هذا المعنى الجـديد للافـلاس ، وسيقترن هذا المعنى الجديد بالمعنى العادى المعروف ، فكلما مر المعنـى الدارج فستنطلق النفس الى المعنـى الجديد ، وتعلو بروحها وفكرهـا عن كل المعانى القديمـة للافلاس ، ويثبت فيها ان المفلس هو « من يأتى بصلاة وصيام وزكاة » اى يأتى بعمل صالح « ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، واكل مال هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا مـن حسناته ، فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه ، اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النـار » واذا علمنا ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما كان يتكلم لـم يكن يسرد الحديث سردا ، بل لوشاء ان يعده العاد لاستطاع ، عرفنا مدى تأثـير هـذا فى نفوس السامعـين فالسامع للسؤال جالت فى نفسه صورة الافلاس الدنيوى ، وربما خطـر فى فكره صور متعددة لاناس قـد افلسوا ولم يبق معهم درهم ، ولـم يملكوا متاعا ، ثم سما بهم رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من هذا التصور الى صورة جديدة فيقول: « المفلس من جاء بصلاة وصيام وزكاة» وهذا مما يدعو الى العجب فينبـه العقول تنبيها قويا شديدا اذ كيـف يكون من عمل عملا صالحا مفلسا ؟ واصبحت النفوس مستوفزة لتمـام معرفة المفلس، وعندذلك تأتى الصورة الكاملة وانه قد اساء الى المجتمـع بأعمال اخر .. وهنا تتساءل النفوس وكيف يعد من خلط فى عمله مفلسا ؟ هل ياتر ى الاعمال السيئة تبطـل الاعمال الصالحة ؟! فيأتى الجواب بأن الاعما ل الصالحة والاعمال السيئة انما يجرى يوم القيـامة بينهمـا القصاص ، فأيهما غلب حكم به على

Made With Pdf Office

صاحبه ، وتستكمل الصورة فى نفوس السامعين ويعرفون ان المفلس : « هو الذى غلبت اعماله السيئة اعماله الصالحة مما ادى الى معاقبته بجهنم، فاذا انتهى الصورة ــ صورة المفلس ــ بالالم ، ألم النار ، مما يدفع السامع عن كل ما يجعله من المفلسين ، وسيحاول ان يكون دائما من الغانمين الرابحين .

بهذا الاسلوب الرائع البديع وصل النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى هذه النتيجة التى يريد ، وذا رأينا اعمال الصحابة توضح لنا صدق هذه النتيجة وانهم كانوا ابعد ما يكون عن اعمال المفلس .

فيالتنا نسلك هذه السبيل ونتبعها فى الدعوة الى كل ما نبغيه .

وليس هذا هو المثل الوحيد فى حياة المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفى دعوته ، وانما هناك امثلة كثيرة اذكر منها على سبيل التعيين لا الحصر :

ــ حديث ابى بكرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثا . »

يعيد السؤال ثلاث مرات ، لتكون الاثارة أتم واكمل ، وتتنبه النفوس عن كل ما يشغلها ، وتتهيأ لتلقى معرفة اكبر الكبائر فيقول : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين » هاتان الكبيرتان اللتان يعرفهما كل مسلم لاشارة القرآن اليهما ، وبعدئذ يغير اسلوب الكلام فيقول : « ألا وشهادة الزور » ولم يكتف بذلك فيكررها «وقول الزور» ثم يشرك فى التنبيه السمع مع البصر « وكان متكئا فجلس ، كل ذلك لتكون النفوس متقبلة آخذة بنهم واقبال لما تسمع ، فتكون نتيجة التأثير العمل المطلوب ، اذ كلما كان الكلام مؤثرا فى النفس كان اكثر دفعا للتطبيق .

وكذا الحديث الوارد فى حجة الوداع حين سألهم :

« أى شهر هذا ؟! »

سؤال عجيب! رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسأل عن شهر ذى الحجة ؟ وما عرف الصحابة ما يقولون ، أيقولون « ذو الحجة »؟ وهو يعرف ذلك ! ولذا ما كان جوابهم الا ان قالوا : الله ورسوله اعلم .

وانتظروا جميعا الاسم الجديد الذى سيطلق على هذا الشهر ، وعبر الراوى عن ذلك بقوله : « فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه . ثم قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى »

ويكرر هذه السبيل فى السؤال « أى بلد هذا ؟ أى يوم هذا » وهم ينتظرون بعد كل سؤال الاسم الجديد للبلد الحرام وليوم النحر ، وليس هناك اسم جديد . وانما كان ذلك

Made With Pdf Office

ليجعلهم متهيئين ليسمعوا احكامـــا عامة ، أحكام المودع ، أحكاما تشمل حياتهم كلها ، ويحرم عليهم ويحـــل لهم فيقول :

« فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا،فىبلدكم هذا فى شهركم هذا »

وهنا يبدو الهدف المقصود مـــن السؤال عن الشهر والبلد واليوم ، وذلك لان حرمتها متقررة فى النفوس ، ثابتة عندهم لاشك فيها ولاريب ،فيعيد الى الذاكرة حرمتها ليبنى عليها حرمة الدمـــاء والامـــوال والاعـــراض .. فستقترن هذه الثلاث بتلك ، وتكون ثابتة كثبوت الاولى متقررة كتقررها .

فرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطينا مفتاح القلـــوب ، وصمام النفوس ، بالسؤال ، فاذا فتح القلب وتحفزت النفس للسمـــاع ، أعطى الجواب ، ومنح المراد ليستقر فيندفع صاحبها الى العمل .

فصلوات الله عليك وسلامـــــه يارسول الله ! ماذا اقول ؟ الا انك نبى الله بعثت للعالمين رحمة ، وكنـــت بالمؤمنين رؤوفا رحيما .

فيا ليتنا نتأسى بك ، ونهتدى بهديك فى الدعوة والتعليم .

من مثل محمد ؟

لم يتفرد محمد صلى الله عليـــهوسلم ــ بأنه يمثل الكمال الانسانى المطلق من جميع نواحيه فحسب ،بل هو يمثل النجـــاح المعجز ، فى تربية النماذج الانســـانية الكاملةمن الافراد ، والامة الانســـــانية الكاملة من بين الشعوب ، فمن مثلمحمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ؟ من مثل محمد ؟

« الدكتور مصطفى السباعى »

Made With Pdf Office